العلاقة بين الخلافة العباسية والدولة السلجوقية الأحوال السياسية انموذجاً

م.م زينب عبد الزهرة خلف

وزارة التربية / المديرية العامة لتربية بغداد الكرخ / ٣

ZainabAhulZahara@gmail.com

تاريخ استلام البحث : ٢٠٢٦/٢/٢٠

تاريخ قبول البحث : ٣٠٢٦/٣/٣٠

الملخص

ظلت العلاقات بين الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية قائمة منذ أن أعلن طغرل بك قيام دولته في خراسان، كانت الخلافة العباسية تعيش في معاناة صعبة فقد تحكم فيها سلاطين السلاجقة حسب أهوائهم، وازدادت علاقة الخليفة القائم بأمر الله سوءاً بالسلطان ملكشاه إذ تعرض الخليفة لكثير من الأذى، وبموت السلطان ملكشاه انقضى العصر الذهبي للسلاجقة وبدأ عصر الانقسامات السياسية والحروب بين ورثة العرش السلجوقي مما أدى إلى تشتيت صفوفهم وإضعاف سلطتهم، ومع مرور الزمن تحقق للخلفاء العباسيين الاستقلال عن السلاجقة في عهد الخليفة الناصر لدين الله، ودخلت الخلافة العباسية في فترة الاستقلال.

الكلمات المفتاحية: الاحوال السياسية، الدولة العربية، العصر العباسي، العصور المتأخرة

The Political Conditions of the Arab State in the Late Abbasid Era

Assist.Lec. Zainab Abdul Zahra Kalaf

Ministry of Education / General Directorate of Education Baghdad Al-Karkh / 3

ZainabAhulZahara@gmail.com

Date received: 20/2/2026
Acceptance date: 30/3/2026

Abstract:

Relations between the Abbasid Caliphate and the Seljuk Sultanate remained strong from the time Tughril Beg declared his state in Khorasan. The Abbasid Caliphate was experiencing significant hardship, as the Seljuk sultans ruled according to their whims. The relationship between Caliph al-Qa'im bi-Amr Allah and Sultan Malik Shah deteriorated further, with the Caliph suffering considerable harm. With the death of Sultan Malik Shah, the Seljuk golden age came to an end, ushering in an era of political divisions and wars among the heirs to the Seljuk throne. This fragmentation weakened their power and led to their disunity. Eventually, the Abbasid Caliphs achieved independence from the Seljuks under Caliph al-Nasir li-Din Allah, entering a period of de facto independence.

Keywords: Political conditions, Arab state, Abbasid era, later periods.

المقدمة:

إن البحث الموسوم (العلاقة بين الخلافة العباسية والدولة السلجوقية الأحوال السياسية انموذجاً) تناول دراسةً تاريخية تحليلية لتطور العلاقة بين الخلفاء العباسيين وسلاطين السلاجقة، وما رافق تلك المرحلة من العصور الاضطرابات السياسية والتحولات الداخلية في بنية الحكم العباسي. إذ انتقلت السلطة الفعلية تدريجياً من أيدي الخلفاء العباسيين إلى سلاطين السلاجقة الذين تولّوا إدارة شؤون الدولة السياسية والعسكرية مع إبقاء الخلافة على رمزيتها الدينية، فقد مثّلت تلك الحقبة التاريخية نقطة تحول مهمة في مسار الخلافة العباسية.

كما يستعرض البحث الحالي أهم العوامل التي ساهمت في إضعاف هيبة الخلافة وتفكك وحدتها نتيجة لتعدد القوى الإقليمية المتصارعة، وتنامي نفوذ أمراء الأطراف، فضلاً عن التحديات الخارجية المتمثلة في الصدام مع الدولة البيزنطية والفاطمية. إنّ تحليل هذه المرحلة يكشف طبيعة التوازن بين السلطتين العباسية والسلجوقية، وكيف أثّر هذا التوازن في مسار التاريخ الإسلامي سياسياً واجتماعياً حتى زوال النفوذ السلجوقي واستقلال الخلافة من جديد.

تناولت في هذا البحث مقدمة وثلاثة مباحث، ورد عنوان المبحث الأول: العلاقة بين خلفاء بني العباس وسلاطين السلاجقة، إما المبحث الثاني فقد جاء بعنوان: مشاكل امراء الاطراف، وجاء المبحث الثالث بعنوان: نتائج الصراع العباسي السلجوقي، ثم الخاتمة التي تضمنت أخم النتائج، وأخيراً المصادر.

المبحث الأول: العلاقة بين خلفاء بني العباس وسلاطين السلاجقة

إنّ الوضع الداخلي في بغداد كان في حالة من الفوضى وعدم الاستقرار، إذ كانت النزاعات والتنافسات بين الامراء البويهيين قائمة آنذاك من جهة وبين الجند من جهة اخرى وانتشرت الفتن بين الجند(ابن الأثير، ٢٠٠٧: ٥) مما ساعد السلاجقة على توطيد نفوذهم وزحفهم نحو بغداد لكي ينقذوا الخليفة العباسي من الأسر، فضلاً عن ضم العراق الى دولتهم التي أسسوها في خراسان، ففي عام ٤٢٤هـ/ ١٠٣٣م ظهر تنافساً واضحاً بين جلال الدولة البويهي (٩٩٣ أو ٩٩٤ – مارس ١٠٤٤) (ابن الأثير: ٥٢٢) وبين ابن اخيه ابي كاليجار(النويري، ٢٠٠٢: ٢٦٤) وخطب لهذا الأخير في بغداد وغدت مدينة بغداد مسرحا للفتن والخلافات(ابن الأثير: ٦).

شعر الخليفة العباسي بالتفكك والانحلال ورأى ان الدولة البويهية أصبحت عاجزة عن اقرار الأمور في العراق، وفقدت مدينة بغداد أمنها بسبب التنافس المستمر بين الأسر وثورات الجند، كما ان ابو الحارث ارسلان البساسيري(الذهبي، ١٩٨٥: ١٣٢) أصبح يشكل خطراً كبيراً على الخلافة العباسية، أذ نشب خلاف بينه وبين الخليفة القائم بأمر الله (١٠٣١ – ١٠٧٥م) (الذهبي: ١٣٨) (٤٢٢ – ٤٦٧هـ/ ١٠٣١– ١٠٧٥م) الذي فقد تقته بمن حوله، رأى أن مصلحته تقضي عليه الاتصال بالقوة الغالبة التي تحترم الخلافة وتدين لها بالولاء فاستنجد بالسلطان السلجوقي طغرل بك(الذهبي: ١٠٧) (١٠٠٩هـ– ١٠٣٥هـ/ ١٠٣٧م– ١٠٦٣م) طالباً مساعدته ضد البساسيري (الحسيني، ١٩٨٤: ١٨) ، وقد توثقت علاقة السلاجقة بالعباسيين قبل دخول السلاجقة بغداد بما يقارب ثمانية عشر عاماً (ابن الأثير: ٧١).

أدى اضطرب مدينة بغداد إلى فرصة ذهبية امام السلاجقة لدخول إليها وانتهز السلطان السلجوقي هذه الفرصة، عندما اضطر الخليفة الاستنجاد بالسلطان السلجوقي طغرل بك وسار بجيوشه متوجهاً الى بغداد ودخلها في عام ٤٤٧هـ /١٠٥٦م، واعترف الخليفة به سلطاناً على جميع المناطق التي تحت يده ، وأمر الخليفة بان يذكر اسم السلطان طغرل بك في الخطبة ومن ثم يذكر بعده اسم الملك الرحيم سلطان الدولة البويهية، ومنذ أن دخل السلطان السلجوقي بغداد عمل على تقاسم السلطة مع الخليفة العباسي أذ اختص الخليفة العباسي بالجانب الديني، بينما اختص السلطان بالجانب الدنيوي (القعايدة، ٢٠١٥: ١٢٠٨).

حلتّ القوة السلجوقية محل البويهية وبدأ بين الطرفين نوع من تطور العلاقات إلى أن تصاعد هذا التطور ليحصل السلطان السلجوقي على تفويض من الخليفة العباسي سنة ٤٤٩هـ/ ١٠٥٨م بان يحكم البلاد حكماً كاملاً وتمثل هذا في قول الخليفة: ((امير المؤمنين حامد لسعيك، شاكر لفضلك، انس لقربك، زائد الشغف بك، قد ولاك جميع ما ولاه الله تعالى من بلاده، وود اليك فيه مراعاة عباده، فاتق الله فيما ولاك، واعرف نعمه عليك في ذلك، واجتهد في نشر العدل وكف الظلم واصلاح الرعية ثم كتب الخليفة تفويضاً رسمياً بذلك)) (ابن الأثير: ٨٠).

عاشتّ الخلافة العباسية منذ عام ٤٤٨هـ/ ١٠٥٧م معاناة صعبة عن طريق محاولة التحكم فيها من قبّل عدد من السلاطين السلاجقة حسب أهوائهم(حتاملة، ١٩٩٨: ٢٧١). كما عمل طغرل بك في اثناء أقامته في بغداد (ثلاثة عشر شهراً) على تدعيم النفوذ السلجوقي في عاصمة الخلافة، وتوحيد العالم الإسلامي كله باسم الخلافة العباسية، ولما دخل طغرل بك بغداد استقبل بحفاوة واعترف به الخليفة العباسي القائم بأمر الله سلطانا على

جميع المناطق التي أصبحت تحت نفوذه (ابن خلكان، ١٩٩٤: ٢٣٠) ، وبعد قضاء السلاجقة على الدولة البويهية دعم السلطان طغرل بك الوجود السلجوقي بالعراق بتوثيق صلته بالخليفة وتوثيق صلة السلاجقة بالخليفة العباسي القائم بأمر الله، فقد تزوج القائم بأمر الله من أرسلان خاتون خديجة ابنة جغري بك (ابن الأثير: ٥) في عام ٤٤٨هـ/ ١٠٥٧م أبنة جغري بك اخ السلطان طغرل بك فتم بذلك التقارب بين البيتين العباسي والسلجوقي واستقر نفوذ السلاجقة في العراق (ابن الأثير: ٧١)، أما السلطان السلجوقي فلم يكتف بتركيز السلطة في يديه، انما بدأ يسعى لتدعيم نفوذه السياسي برابطة اجتماعية جديدة مع الخلافة العباسية، فتقدم لخطبة ابنه القائم بأمر الله، وهو أمر غير مسبوق، فانزعج الخليفة لذلك وأظهر التمنع في البداية ولكنه امام الضغط السلجوقي ما لبث أن وافق ليتم الزواج سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م (محمد، ٢٠٠٦: ٤٦) ، ولما تم زفاف طغرل بك على ابنة الخليفة العباسي القائم بالله اقيم سماط بدار السلطنة استمر اسبوعاً، وكان لجميع رعايا الدولة والامراء(ابن الأثير: ٤٥٤)، وبعد هذا التقارب أمر الخليفة العباسي بمخاطبة طغرل بك بملك المشرق والمغرب، أي المسؤول السياسي والعسكري في دعم الخلافة العباسية، ونتيجة ذلك التحالف الذي حصل بين الخليفة العباسي القائم بأمر الله والسلطان السلجوقي طغرل بك أصبحت الخلافة العباسية في موضع قوة منذ أن دخل طغرل بك إلى بغداد وقضى على الدولة البويهية (أبو الفتوح، ١٩٨٣: ١٨٩).

قادة البساسيري حركات ارتدادية عسكرية وسياسية كان الهدف منها اخراج السلاجقة من بغداد بعد أن حقق السلطان السلجوقي طغرل بك انتصارات عظيمة في الدولة، فعلى الصعيد العسكري نجح في الاستيلاء على الموصل بعد أن هزم السلاجقة قرب سنجار في عام ٤٤٨هـ-١٠٥٧م واخذ يعد قواته في سبيل الدخول الى بغداد (أبو الفتوح: ٧٧) ، اما على الصعيد السياسي فقد اعلن انضمامه الى الدولة الفاطمية (٣٠٩- ٣٥٧هـ/ ٩٠٩ - ١١٧١م)، وقام بالخطبة للخليفة الفاطمي(جمال الدين، ١٩٩١: ٣٠٧) الذي ارسل اليه الخلع مما أدى الى حدوث اضطرابات عنيفة في البلاد (أبو الفتوح: ٨٣) ، وبدأت حركة الاصلاح على يد السلاجقة الذين زحفوا الى بغداد وأنقذوا الخليفة العباسي من الذل الفاطمي بعد ذلك الانقلاب الذي دبرته الدولة الفاطمية على يد القائد العسكري البساسيري، وقد رأى السلاجقة أن الافكار والعقائد لابد من غرسها عن طريق التعليم والتهذيب لا عن طريق السيف (الجمل، ٢٠٢٢: ٦٢).

شرع السلاجقة في ارساء قواعد دولتهم بعد جملة من الانتصارات التي احرزوها وازدياد قوتهم، واشتد بأسهم وازدادت قوتهم واذعن لهم الملك (الراوندي، ١٩٦٠: ١٥٧)، واول شيء سعوا لتحقيقه هو العمل على اعطاء

دولتهم الصفة الرسمية وذلك من خلال الحصول على السند الشرعي، وهو اعتراف الخليفة العباسي بقيام دولتهم لان مثل هذا الاعتراف بقوانين ومنطق ذلك العصر هو الذي يكسب الدولة شرعيتها بحكم الاقاليم التي تحت ايديهم (الراوندي: ١٦٥)، فقاموا بإرسال رسالة الى الخليفة العباسي القائم بأمر الله يطلبون منه الاعتراف بقيام دولتهم والموافقة على طغرل بك سلطاناً عليها، وسرعان ما أعطى الخليفة العباسي موافقته على طلبهم واصدر لهم امر التقليد وذلك بعد ان وجد في دولتهم الفتية تجديداً واصلاحا في جميع النواحي (الراوندي: ١٦٦).

بُرز دور السلاجقة العظيم منذ دخول طغرل بك عام ٤٤٧هـ-١٠٥٦م حتى عام ٥٩٠هـ-١١٩٤م وساهم في نهضة الدولة العباسية في الجوانب السياسية والادارية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية تقاسموا فيها السلطة مع الخلافة وساهموا في ادارة الدولة في العديد من الأمور (شاكر، ٢٠٠٠: ٢٠٥)، واستخلف خلال عهد الدولة السلجوقية تسع خلفاء عباسيين كان أولهم الخليفة القائم بأمر الله وآخرهم الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٦هـ-٦٢٢هـ/١١٨٠م- ١٢٢٥م)، وكانت سلطة السلاجقة تمتد من بلاد الشام حتى حدود الصين أذ سمي عصر السلاجقة الأوائل بالعظام (أيوب، ٢٠١٣: ٣٥).

اختلط سلاطين السلاجقة مع رعاياهم وجالسوهم على الموائد والاسمطة ولم يتكبروا عليهم، وذلك حرصاً منهم على تقاليدهم البدوية القبلية، كما حرص السلطان طغرل بك على اعداد الخوان جيداً، وكان يأمر بتهيئة الطعام على اكمل وجه، خاصة حينما كان يركب للصيد في الصباح الباكر، وكان يحمل في موكبه عشرون وسقاً من الاطعمة لزواره ومن معه في الصحراء، وكانت كثرتها اثير عجب الامراء والاتراك اثناء تناولهم الطعام (ابن الجوزي، ١٩٩٥: ٢٢٩).

عاني طغرل بك من عدة مشاكل داخلية، اضطر الخروج من بغداد عام ٤٤٩هـ/ ١٠٥٨م بسبب عدة مشاكل داخلية، وذهب إلى الموصل ليضع حداً لتلك المشاكل التي اثارها البساسيري ضده، فبسط نفوذه في ديار بكر ثم عاد الى بغداد، حيث استقبله الخليفة بالترحاب ولقبه ملك المشرق والمغرب (ابن الأثير: ٨٠).

خرج السلطان طغرل بك مرة أخرى من بغداد إلى بلاد الجبل لقمع تمرد أخيه ابراهيم اينال (الذهبي: ١١٢) ، أما البساسيري فقد انتهز فرصة خروج طغرل بك ودخل بغداد عام ٤٥٠هـ- ١٠٥٩م وخطب فيها للخليفة الفاطمي عام كامل، وخرج الخليفة منها متجهاً الى عانة، وبدأ يراسل طغرل بك مستغيثاً به (البندري، ٢٠٢٢: ١٨)، لكن الخلافة الفاطمية لم تكن تملك القوة الكافية لإمداد البساسيري، فضلاً عن ثقتها في هذا الرجل لم تكن كبيرة، لذلك لم تتحرك للقيام باي عمل وتركت البساسيري يواجه الموقف لوحده امام تلك القوة إذ ما لبث أن عاد

السلطان طغرل بك الى العراق بعد ان فرغ من اخماد ثورة اخيه مما اضطر البساسيري الى الخروج من بغداد لعدم قدرته على الوقوف في وجه الجيش السلجوقي ومن ثم قتل في عام٤٥١هـ- ١٠٦٠م (ابن عمراني، ١٩٤٤: ١٦١).

منذ أن دخل السلاجقة إلى العراق تظافرت جهودهم للنهوض بالدولة العباسية فالحضارة والسياسة متلازمتان، وبدأت انجازاتهم السياسية في دخولهم بغداد وانقاذهم للخلافة العباسية بتخليصهم من نفوذ البويهيين الذين كانوا مسيطرين على الخلافة، وتم القضاء على فتنة البساسيري الذي كان مسيطراً على قرارا الخليفة العباسي، ومن ثم تحجيم نفوذ الدولة الفاطمية التي حاولت بسط نفوذها على الخلافة العباسية (الراوندي، ١٩٦٠: ١٨٩).

وفيما يخص الجانب الخارجي وللحيلولة دون أسقاط الخلافة العباسية في أيدي أعداء الإسلام عمل السلاجقة على اطالة مدة الخلافة إلى أطول فترة ممكنة، فقد وقفوا في وجه الدولة البيزنطية حيث سار السلطان ألب أرسلان (الذهبي: ٤١٤) لغزو ملك الروم الذي جاء لغزو بلاد المسلمين، فتصدى له ألب أرسلان عام ٤٦٥هـ- ١٠٧٣م وتمكن من التغلب عليه وايقاعه في الاسر، ثم أطلق سراحه بعد أن عقد معه اتفاقية تعهد بموجبها على احترام الهدنة خمسين عام مع دفع الجزية السنوية للسلاجقة خلال هذه المدة، واطلاق سراح جميع أسرى المسلمين الذين في حوزة الروم (فوزي، ٢٠٠٩: ١٦٩).

اصبح السلاجقة يمثلون القوة الساندة لدولة الخلافة العباسية بعد أن استتب الأمر لهم، واختلف موقفهم تجاه الخلافة عن موقف البويهيين بشكل عام فكانوا يحترمون الخلفاء تديناً ينبع من عقيدتهم ونشأتهم، واستطاع السلاجقة ان يوحدوا المشرق الاسلامي من جديد تحت رايتهم ويمدوا رقعته في غربي آسيا الى حدود البوسفور عن طريق جهاد الدولة البيزنطية، واستولوا على معظم بلاد الشام من يد الدولة الفاطمية (طقوش، ٢٠٠٠: ٢٤٢).

استمرت هذه العلاقات الطيبة بين الخلافة العباسية والسلاجقة ما يقارب ثمانية عشر عاماً منذ ان اعلن طغرل بك قيام دولته في خراسان، فالظروف السياسية التي احاطت بالطرفين حتمت أن تكون هذه العلاقات فيما بينهم وثيقة (طقوش: ٢٤٣).

المبحث الثاني: مشاكل امراء الأطراف

تدهور وضع الخلافة العباسية بسبب سيطرة سلاطين السلاجقة، الذين خدمت سيطرتهم مصالحهم الخاصة. فقد جردوا الجنود الموالين للخليفة في العاصمة بغداد، متخذين بذلك دور حماة مركز الخلافة. وفي ظل هذه الظروف، لعب قطاع الطرق والعصابات (طارق، ١٩٨٦: ٢٠) دورًا بارزًا في الأحداث السياسية للمدن العراقية. كما تولى سلاطين السلاجقة مسؤولية حفظ الأمن، ساعين إلى إبعاد الخليفة عن الساحة السياسية وحصره في الشؤون الدينية (واصل، ١٩٦٠: ١٣٢).

اعتلى ألب أرسلان عرش سلاجقة عام ٤٥٥ هـ (١٠٦٣ م). عُرف السلطان ألب أرسلان بموهبته الفذة وشجاعته النادرة، وقد سعى، على غرار عمه طغرل بك، إلى توطيد حكمه في منطقة السلاجقة بالوسائل السياسية قبل أن يشرع في فتح أراضٍ جديدة وضمها إلى دولته. كرّس السلطان أرب أرسلان نفسه لنشر الإسلام في البلدان المسيحية المجاورة، كأرمينيا والأناضول، فدعم الإسلام وساهم في نشره في هذه المناطق، ورفع راية الإسلام داخل الإمبراطورية البيزنطية (محمد، ١٩٩٤: ٢٥).

سعى السلطان أرب أرسلان إلى تحقيق هدفين سلاجقيين: التوسع في الأراضي البيزنطية وطرد الخلافة الفاطمية من بلاد الشام ومصر. وللدفاع عن نفسه ضد الغزو البيزنطي، قرر غزو أرمينيا وتأسيس موطئ قدم فيها (ابن هبة الله، ١٩٥١: ٢٥٦). ونظرًا لعلاقته الوثيقة بالخلافة الفاطمية، فقد سبق ذلك هدفه الثاني، وهو غزو الخلافة الفاطمية. في الواقع، كان عبور محور الرها والتقدم إلى جنوب سوريا، بل وحتى مصر، دون تقييم الموقف البيزنطي وفهم مواقف حكام الجزيرة وبلاد الشام، أمرًا بالغ الصعوبة، عسكريًا وسياسيًا. كان من شأن انهيار العلاقات مع هذه القوى أن يقطع طريق انسحاب جيشهم، إذ كان الانسحاب سيُبعدهم عن قواعدهم الخلفية (مصطفى، ١٩٨٩: ١٣١). في هذه الأثناء، توغلوا أكثر في الأراضي البيزنطية، واشتدت الغارات التركية. في عام ١٠٦٨ (٤٦٠ هـ)، تمكن رون بن خان أخيرًا من الاستيلاء على المدينة بعد حصار دام خمسة أيام (طقوش: ١١٣).

من عام ١٠٦٩ (٤٦١ هـ) إلى عام ١٠٧٠ (٤٦٢ هـ)، شنّ الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديوجينيس حملتين عسكريتين لوقف تقدم الغزاة ومنع المزيد من التسلل. هاجم شمال بلاد الشام، ولا سيما حلب، التي كانت مركزًا حيويًا للتجارة والاتصالات العسكرية بين العراق وأرمينيا والأناضول وبلاد الشام. اشتبك جيشه

مع قوات محمود بن نصر المرداسي وبني القراب وابن حسن الطي وحلفائهم العرب، وانتصر عليهم (ابن هبة الأعلى: ٢٥٧). لكن عندما علم الإمبراطور أن جيش أفشين التركي قد توغل عميقًا في الأراضي البيزنطية، واستولى على أموريون، وكان يستعد للزحف نحو القسطنطينية، تخلى عن نصره وانسحب على عجل من المنطقة. كما كان نقص المؤن سببًا آخر دفعه للعودة إلى وطنه (مصطفى: ١٣٢).

تولى السلطان محمود بن محمد بن ملكشة (الزهبي: ٥٠٦) سلطنة السلاجقة في عهد الخليفة المستهين بالبله، رغماً عن إرادة عمه سنجر بن ملكشة. كان سنجر حاكم السلاجقة وسلطان خراسان والمنطقة الواقعة شرق نهر جيحون. رفض محمود الحكم لأخيه، وقاد جيشه إلى العراق، واستولى على السلطة في منتصف عام ١١٢٠ هـ (٥١٣ هـ). إلا أن السلطان السلجوقي سنجر رفض تنازل محمود عن العرش، وخاض معه معركة حاسمة قرب الراعي في إيران. انتصر جيش سنجر، لكنه توصل لاحقاً إلى مصالحة مع ابن أخيه وعرض عدة شروط لحل الصراع السلجوقي. كان هذا الصراع، في الواقع، بمثابة البداية المبكرة لتفكك الإمبراطورية السلجوقية إلى دويلات صغيرة عديدة (الذهبي: ٢٧٨). وفي العام نفسه، أطلق الأمير مسعود، شقيق السلطان محمود، ثورة. وكان أمير الموصل وأذربيجان وديار بكر. حاربه السلطان محمود وهزمه، مما أجبره على الخضوع له (الأصفهاني، ١٩٠٠: ٩٧). أما الخليفة العباسي محمد المستهيّد البلال (١١١٨-١١٣٥م/٥١٢-٥٢٩هـ) (السبكي، ١٩٩٣: ٢٩٢)، فقد استغل هذه الحرب الأهلية السلجوقية لصالحه. فاستغل انشغال الأطراف المتحاربة، وبدأ الخليفة المستهيّد في بناء جيش قادر على الدفاع عن مصالح الخلافة العباسية. افتقرت الخلافة العباسية إلى جيش قوي كهذا منذ عهد الدولة البوحيشية والسلالات السلجوقية اللاحقة (زمبور، ١٩٨٠: ١٠). ومع ذلك، فإن القوة العسكرية للخلافة العباسية جعلت السلاجقة حذرين من تحركات الخليفة وطموحاته للاستقلال. وقد تحدّى الخليفة المستهين حكم السلاجقة، فقاد بنفسه جيوشًا مرتين ضد المتمرد العراقي دبيس بن صدقة (ابن الجوزي: ١٥٦). بدأ السلطان محمود هذا الغزو، فكتب إلى والي سمرقند معلنًا نيته الزحف على أراضي عمه سنجر، وطلب منه شن هجوم مفاجئ على سنجر. كما طلب مساعدة دبيس بن صدقة وأمراء آخرين (الختملة: ٢٧٧).

بايع دبيس السلاجقة وتحالف معهم، لكن الخليفة المستهين هزمه مرتين. ومع ذلك، استغل بعض المخبرين هذا الوضع لتقويض العلاقات مع السلاجقة. كان من بين هؤلاء المخبرين سعد دولة يولنكوش الزرقاوي، قائد شرطة بغداد وأحد أتباع السلاجقة. غادر بغداد على عجل إلى همدان للقاء السلطان السلجوقي

محمود، وأطلعه على تحركات الخليفة العباسي وأهدافه. وحذره من أنه إذا لم يُعالج الأمر بحزم، فسيتسع الخلاف، وسيزداد الوضع تعقيدًا، وسيتفاقم الخطر، إذ كان الخليفة المستهيمن قد تواصل بالفعل مع حكام المناطق المجاورة ومع جميع العرب والأكراد، مما دفع السلطان إلى دخول بغداد (ابن جهزي: ٢٥٤). ولمواجهة التهديد السلجوقي، اتخذ الخليفة عدة إجراءات، أولها أن يطلب من والي حراء، دبيس بن ماجد بن صدقة، اللجوء إلى الأمير السلجوقي طغرل بك. كان طغرل بك رجلاً سريع الغضب، يستمتع بالصراعات الداخلية بين السلاطين، معتقداً أنه طالما استمر هذا الصراع، ستُدار شؤونه على النحو الأمثل، كما فعل والده صدقة خلال نزاعاتهم (ابن جهزي: ٢١٨). ومما ساهم في هذا الوضع أن سلطان السلاجقة لم يُعلن بغداد عاصمةً له خلال فترة حكمه، وأن دبي كانت بعيدة كل البعد عن نفوذه المباشر (الزهراني، ١٩٨٢: ١٢٥).

وكان سنجر المستفيد الأكبر من تصرفات دبي، إذ استخدمها لمضايقة الخليفة العباسي المستهيّد. فكلما أبدى الخليفة أي بوادر استقلال، كان سنجر يستغل دبي. ومع ذلك، لم يسمح سنجر لدبي بامتلاك جيش نظامي، خشية أن تُشكل قوتها المتنامية تهديداً لسلالة السلاجقة (سامراي، ١٩٨٨: ٢٨٣). بتحريض من السلطان السلجوقي طغرل، قاد الدُبّي جيشًا جرارًا لحصار بغداد، مهددًا الخليفة قائلًا: "باسم الله، لأهدمت هذه المدينة حجرًا حجرًا!" (عمراني، ١٩٧٣: ٢١٥). إلا أن الخليفة المستهيّد قاد بنفسه جيشًا كبيرًا من بغداد وصدّ الحصار. ودارت رحى الهجوم والحرب اللاحقة بين جيوش الدُبّي والخليفة. لم يقف الخليفة على الحياد، بل قاد المعركة بنفسه. وعندما اشتدّ القتال، استلّ سيفه، وهتف "الله أكبر"، وقاد قواته إلى المعركة (ابن العسير: ٦٠٩). وانتهت الحرب أخيرًا في معركة النيل في شهر المحرّن عام ١١٢٣م (٥١٦هـ). وعاد الخليفة المستهيّد منتصرًا بعد تحرير حراء، حيث كان الدُبّي وأنصاره قد تجمعوا. أما بالنسبة لدبي، فقد هرب إلى الموصل وتحالف مع أمير الموصل، زنكي (حماوي: ٣٣٤).كان لهذا النصر أهمية بالغة للخلافة العباسية، إذ شكّل نقطة تحوّل حاسمة في تاريخها، حيث كانت المرة الأولى منذ سنوات عديدة التي يقود فيها الخليفة بنفسه أهالي بغداد في معركة واسعة النطاق ضد خصومه. أعلن الخليفة التعبئة العامة، وبفضل معنوياته العالية، تمكّن من بناء جيش نظامي وتزويده بمؤن وفيرة. وفي غضون عام من تشكيله، بلغ قوام جيشه ١٢ ألف فارس، جميعهم كانوا شديدي الولاء للخليفة. عزّز هذا النصر مكانة الخليفة ونظامه في نظر الشعب، وجعل السلطان السلجوقي يُعيد النظر مليًا قبل تحدّي الخلافة العباسية (ابن خلدون: ٥٠٥).

على الرغم من هزيمته، استمرّ آل دبي في تهديد الخليفة، وتحالفوا مع الأمير السلجوقي طغرل. استسلم طغرل لأطماع آل دبي، وحاول الاستيلاء على السلطنة من أخيه محمود. عندما علم الخليفة المستهين بنوايا حليفيه، قرر تسخير كل ما لديه من موارد وقوة لمواجهتهما. فعمل على بناء جيش قوي وموحد، وجمع أكبر عدد ممكن من الجنود المعادين للسلاجقة، وقادهم لتشكيل جيش استعدادًا للمعركة. وقاتل أهل بغداد إلى جانب الخليفة ضد السلاجقة. بدأ السلاجقة بناء أسوار بغداد عام ٥١٧ ميلاديًا لتحصين المدينة. فأمر الخليفة المستهين ببناء الأسوار، وخصص ضرائب من الأراضي المحيطة لبنائها. شكل هذا عبئًا ثقيلًا على الناس وأدى إلى ضائقة مالية كبيرة. ولما علم باستياء الناس من هذا الأمر، أعاد الخليفة الأموال المصادرة، ففرح الناس كثيرًا، ودعوا له (ابن العسير: ٦١٧).

أظهر بناء الأسوار وحدة سكان المدينة وعزز عزيمتهم على الدفاع عن وطنهم ضد الغزاة. تناوبوا على المشاركة في الدفاع، حيث كان سكان كل حي يتصرفون بشكل مستقل، على وقع قرع الطبول ونفخ الأبواق. ولما علموا باقتراب جيوش طغرل ودبي، قاد الخليفة جيشه المُجهز لطردهم من بغداد. إلا أن القدر شاء غير ذلك. فقد اضطر طغرل للتراجع بسبب مرض مفاجئ، ولجأ إلى عمه السلطان سنجر. ولحقه دبي، الذي كان قد وقع أسيرًا لدى الخليفة، لكن الخليفة أطلق سراحه بعد أن توسل إليه. ولما التقى دبي بالخليفة، قبّل الأرض أمامه وقال: "أنا عبدٌ منفيّ، فليغفر أمير المؤمنين لعبده". تأثر الخليفة بمحنته (ابن العسير: ٦٢٧). إلا أن الخليفة المستهيّد ارتكب خطأً فادحًا، إذ سمح لدبي بأن يصبح شوكة في خاصرته حتى وفاته عام ١١٣٥ (٥٢٩ هـ) (الختمري: ٢٨٠).

... استهان محمود بجيش عمه، وباءت جهود الأمراء بالفشل في منع النزاع. مع ذلك، اطمأن محمود بفضل قوة فرسانه الكبيرة وشجاعة جنوده. تكبّد جناحا سنجر الأيمن والأيسر خسائر فادحة، وغرق جيشه في الفوضى والاضطراب. لكن سنجر واصل القتال وأرسل فيلة حربية لمهاجمة جيش محمود، مما أجبر فرسانه على التراجع. أشفق سنجر على السلطان الشاب، فهُزم محمود. بعد ذلك، توقفت خطب الجمعة باسمه، وأصبح سنجر هو من يُلقيها (القزويني، ١٩٦٠: ٤٨٣).

بعد الهزيمة، قاد السلطان محمود الوزير كمال مرك إلى أصفهان. في هذه الأثناء، توجه سنجر إلى همدان. ولما وجد قواته غير كافية، أرسل مبعوثين إلى ابن أخيه يطلب منه الصلح. استجاب سنجر لطلب والدته (التي كانت أيضًا جدة السلطان محمود) وعفا عن ابن أخيه. وتم التوصل إلى مصالحة، وعُقد تحالف.

وعيّن محمود سنجر خليفةً له، ومنحه منصب والي العراق (ابن الأثير: ٥٥٢). وما إن انتهى النزاع بين السلطان محمود وعمه حتى ثار أخوه مسعود بن محمد. في ذلك الوقت، كان مسعود يحكم الموصل وأذربيجان عام ٥١٤ هـ (١١٢١ م) (حمزة، ١٩٩٣: ٣١). وقد حرض أمراء مختلفون، سعياً وراء مصالحهم الشخصية، على النزاع، وعلى رأسهم دبيس بن صادق، الذي دعم مطالبة مسعود بالسلطنة وحرضه على قتال أخيه محمود. بسبب صغر حجم جيش محمود وتشتته بعد هزيمته على يد جيش عمه سنجر، تمكن مسعود من شن هجوم مضاد. بل إنهم ساندوه، وأعلنوه سلطانًا على أذربيجان والموصل والجزيرة، وكعادتهم، قرعوا طبول السلطان الحربية خمس مرات يوميًا (الخضري، ١٩٧٠: ٤٤٦). ثم تقدم الجيشان والتقيا عند ممر أسد آباد، حيث دارت بينهما معركة ضارية استمرت يومًا كاملًا. قاتل جنود محمود ببسالة ضد جيش مسعود، وتمكنوا في النهاية من هزيمتهم. أُسر بعض قادة مسعود، فأمر السلطان بإعدامهم (لي سترانج، ١٩٨٥: ٢٣١). بعد ذلك، أرسل محمود رجالًا لملاحقة أخيه، وأشرف شخصيًا على العملية. اعتبر محمود هذا العمل بطوليًا، وهو أمر ليس بمستغرب، إذ سبق أن فعل عمه سنجر الشيء نفسه من أجله. أراد محمود أن يحذو حذو عمه، وأن يسير أخوه على خطاه (ابن عسير: ٥٦٢). كان حكام الأقاليم المختلفون، الذين يحمل كل منهم طموحاته الخاصة البعيدة عن المصلحة الوطنية، يركزون جميعًا على مصالحهم الشخصية، ساعين جاهدين لتنصيب ولي العهد الشاب على العرش. وقد فعل ذلك لتعظيم مصالحه وتعزيز مكانته. ونتيجة لذلك، اشتد الصراع بين الإخوة الثلاثة، وتدخلت عائلة أتابك أيضًا (ديفاجي، ١٩٥٥: ١)، مما أدى إلى اندلاع التمردات والاضطرابات. وكان على السلطان أن يكون على أهبة الاستعداد لقمع هذه التمردات باستمرار، الأمر الذي أثقل كاهله وعرقل جهوده لتحقيق الاستقرار السياسي. اعتقد الخليفة المستهيّد بالله أن ضعف السلاجقة وتفككهم وانهيارهم يمثل له فرصة للتحرر من نفوذهم. وسعى إلى إعادة حكم الخلافة العباسية (خاتملاي: ٢٧٦).

المبحث الثالث : نتائج الصراع العباسي السلجوقي

بعد أن أسس طغرل بك دولته في خراسان، استمرت العلاقات بين الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية قرابة ثمانية عشر عامًا. إلا أن الصراع سرعان ما اندلع حين سعى طغرل بك إلى احتكار السلطة في العراق، بما فيها سلطة الخلافة. علاوة على ذلك، حوّل موارد مالية عراقية إلى خزينة السلاجقة. قبل عودته إلى العاصمة، الري، عيّن مسؤولًا سلجوقيًا يُدعى "آميد" (التكوش: ٢٤٢) نائبًا له في بغداد. كما عيّن مسؤولًا آخر

يُدعى "شاهنا" (ابن عسير: ٨٧) لحفظ النظام. كان لهذا المسؤول، الذي كان تحت إمرته مباشرة، نفوذ كبير، حتى أنه فاق نفوذ الخليفة نفسه. ترك طغرل بك حامية عسكرية في بغداد، وفوض إدارة عدة مدن إلى المقربين منه (ابن عسير: ٨٩).

عانت الخلافة العباسية معاناة شديدة، إذ خضعت لحكم السلاطين السلاجقة. كان كل سلطان قوي يطالب بمبايعة الخليفة، وكان الخليفة، تحت الضغط، يُجبر على منح إما الخلافة أو السلطنة. ومع ذلك، فإن قبول الخليفة لكل من الخلافة والسلطنة أظهر أهميته ومكانته، وهي حقيقة كان على كل من يطمح إلى أن يصبح السلطان الشرعي في الدولة السلجوقية أن يأخذها في الاعتبار (حاتمله: ٢٧١). ومما زاد الطين بلة، أن السلطان حاول ترتيب زواج بين العباسيين والسلاجقة. فقد تجاوز التقاليد العباسية واقترح الزواج من ابنة الخليفة – وهي خطوة غير مسبوقة (الأصفهاني، ٢٠٠٤: ٢١). وكان هدفه هو توطيد نفوذه السياسي من خلال إقامة علاقة قوية ولكن غير رسمية مع العباسيين. مع ذلك، كان السلاجقة يطمعون في الخلافة، لكنهم يفتقرون إلى النسب اللازم بسبب أصولهم غير العربية (أمين، ١٩٦٥: ١٣٦).

بقي الوضع على حاله بعد أن أصبح السلطان البصير أرسلان سلطان السلاجقة عام ١٠٦٣ (٤٥٥ هـ)، حيث احتكر السلطان السلطة دون موافقة الخليفة القائم البيم عمرو الأعلى. وفي عام ١٠٦٦ (٤٥٨ هـ)، عيّن ابنه مالك شاه (١١٠٥–١١١٨ هـ / ٤٩٩–٥١١ هـ) خليفةً له، وأمر بإلقاء خطب الجمعة باسمه في جميع أراضيه (بما فيها بغداد) دون استشارة الخليفة أو إبلاغه رسميًا (ابن العسير: ١٠٣). كما عيّن ساحرًا دون موافقة الخليفة، الأمر الذي أغضب الخليفة الذي اعتبره تدخلاً في شؤونه الداخلية ورفض استقباله (الأصفهاني: ٤٥).

وتدهورت العلاقات بين الخليفة قائم بن العمرو علاء والسلطان مالك شاه (١١٠٥–١١١٨ هـ/٤٩٩–٥١١ هـ) عام ٤٦٧ هـ (١٠٧٥ هـ) (الذهبي: ٣١٨). وتعرض الخليفة لاضطهادات عديدة، حتى أن بعض نواب السلطان تجرأوا على المشاركة معه في الأنشطة الدينية. ورغم اعتراضات الخليفة، أصرّ والي بغداد، سعد الدولة، على طرده من بغداد ونقل عاصمة الخلافة إلى أصفهان، لتنصيب صهره خليفةً. لكن القدر ابتسم للسلطان، الذي أنقذ الخليفة من الخلع (ابن الخليخان: ٢٨٩).بعد وفاة الخليفة قائم بن العمرو الأعلى، نُصِّب ابنه مقتدي بن الأعلى خليفةً (الذهبي: ٣٠٨). وتدهورت العلاقة بين السلطان مالك شاه والخليفة مقتدي

تدريجيًا. بدأ هذا التدهور عام ١٠٩٠ هـ (٤٨٢ هـ) بسوء تفاهم بين الخليفة مقتدي وزوجته حطون (ابنة السلطان مالك شاه). أخبرت حطون والدها بالأمر واشتكت من إهمال مقتدي لها، فتفاقم الأمر وأصبح معروفًا للعامة. استدعى السلطان مالك شاه ابنته على الفور إلى مقر الخليفة. عادت حطون، برفقة ابنها الأمير أبو فضل جعفر بن مقتدي، إلى منزل والدها في أصفهان في موكب مهيب. لم تُدفن بسلام في منزل والدها، وتوفيت في وقت لاحق من ذلك العام. وقدّمت كل من أصفهان وبغداد تعازيهما. بعد ذلك، بدأ السلطان ملكشاه بالتآمر لمضايقة الخليفة والانتقام منه (حسين، ١٩٨٤: ٣٧). وفي عام ١٠٩٢ ميلادي (٤٨٤ هجريًا)، دخل السلطان بغداد وأقام فيها. سكن القصر ليكون قريبًا من مقتدي. تضاءل نفوذ مقتدي تدريجيًا، حتى فقد معظم سلطته الفعلية؛ إذ اقتصرت سلطته على قصره، وحُصر خطابه على رعيته (ابن جهزي: ٥٧). كما احتفل السلطان بعيد ميلاده على ضفاف نهر دجلة، حيث زُيّنت أراضي بغداد وأنهارها بالفوانيس والزينة في احتفال مهيب. بعد سلسلة من الأحداث التي أثّرت سلبًا على معنويات الخليفة المقتدي، تدخّل السلطان ملكشاه مباشرةً في مصير الخلافة العباسية، مطالبًا إياه بتعيين حفيده، أبو الفضل جعفر، خليفةً له، بدلًا من ابنه الأكبر، المستذئب بلال، الذي بايعه (ابن خالقان: ٢٨٨). حاول الخليفة التهرّب من هذا الطلب، لكن السلطان كان مصممًا على الانتقام من المقتدي وطرده نهائيًا من بغداد. في عام ١٠٩٣م (٤٨٥هـ)، وبعد دخوله بغداد، أرسل السلطان رسالةً إلى الخليفة يقول فيها: "عليك أن تترك بغداد لي وتذهب حيثما تشاء". أزعج هذا الأمر الخليفة بشدة، وأصابه بحزنٍ عميق، فتوسّل إلى السلطان أن يمنحه مهلة شهر. لكن السلطان رفض قائلًا: "ولا حتى ساعة". بعد ذلك، تواصل الخليفة مع وزير السلطان، تاجي مقت الأب قنايم (دالويست، ١٩٩٧: ١٣)، الذي نجح في إقناع السلطان بمنح الخليفة عشرة أيام لترتيب شؤونه قبل مغادرته إلى البصرة (حسين، ١٩٨٤: ٣٩). وهكذا، عانى مقتدي من أشدّ الإذلال والعار في حياته. لم يكن بوسعه الدفاع عن نفسه، ولم يكن قادرًا على مواجهة مالك شاه. فتوجه إلى الله، داعيًا إياه ليلًا ونهارًا أن ينجيه من محنته. كان يصلي ليلًا ونهارًا، ويصوم نهارًا، ويتضرع إلى الله تعالى بخشوع. خلال هذه الفترة، خرج السلطان للصيد، وعاد مريضًا، وتوفي قبل الموعد النهائي لتوجيه الإنذار إلى الخليفة. واعتُبر هذا بمثابة ضربة حظ لمقتدي، إذ نجا بذلك من العار والمأساة الحقيقية. وهكذا حسد حتى أعداؤه ضعف الخليفة (ابن خلقان: ٣٨٩).أما ابن قصير (أبو فدا، ١٩٨٧: ١٢٣)، فقد ذكر وصول مالك شاه إلى بغداد قائلاً: "وصل السلطان إلى بغداد...". استمر ابن قصير في رمضان بنية سيئة، فعاقبه الله كما كان يأمل لأعدائه. ولما استقر موكب مالك شاه في بغداد، جاء الناس لاستقباله وتهنئته بوصوله، وأرسل الخليفة

رسالة تهنئة. إلا أن مالك شاه أرسل رسالة إلى الخليفة يقول فيها: "يجب أن تسلمني بغداد وتذهب حيث تشاء". فأرسل الخليفة رسالة يطلب فيها تمديداً لمدة شهر، فأجابه مالك شاه: "ولا حتى ساعة". فأرسل الخليفة رسالة يتوسل فيها تمديداً لمدة عشرة أيام، فوافق الخليفة بعد مماطلة طويلة. ولكن قبل انقضاء المهلة، خرج السلطان للمشاركة في احتفالات عيد الفطر. فأصيب بحمى شديدة، وتحملها لفترة، لكنه لم يُشفَ بعد عشرة أيام. الحمد لله رب العالمين.

(فيما يتعلق بوصول السلطان مالك شاه إلى بغداد، ذكر ابن قصير: "وصل إلى بغداد بنوايا سيئة، فأصابه الله بحمى شديدة، فاحتملها مدة، ثم مات بعد عشرة أيام. الحمد لله رب العالمين."). بوفاة السلطان مالك شاه، انتهى العصر الذهبي للسلاجقة، ودخلت فترة من الانقسام السياسي والحروب بين خلفائهم. أدى ذلك إلى انقسامات داخلية وإضعاف سلطتهم. ومع ذلك، ظل سلاطين السلاجقة مصممين على احتكار السلطة، وتهميش الخليفة، واغتنام كل فرصة لتحقيق هذا الطموح (الحسين: ٤٠). خلال عهد الخليفة المستهيّد، تمنت الدولة العباسية التخلص من حكم السلاجقة في بغداد. كان الخلفاء في أمسّ الحاجة إلى منقذ، فتوجهوا إلى دولة الخوارزميين التابعة لهم، وشجعوهم على التمرد على السلاجقة. وأقاموا علاقات ودية مع الخوارزميين، بل إن الخليفة المستهين منحهم أرديةً فخريةً لتحفيزهم على الانتفاضة. واستجاب الخوارزميون لطلبه. وفي هذه الأثناء، قاد الخليفة المستهين جيشًا كبيرًا ضد السلطان السلجوقي مسعود. إلا أنه تُرك وحيدًا في خيمته، فهُزم في النهاية، وأُسر، وقُتل على يد الإسماعيليين (أكام، ١٩٩٥: ٤٨٣). وأصبح الخليفة في نهاية المطاف ضحية لثورته (ابن العسير: ٣٤٥)، لكن الخليفة المقتافي استغل الوضع السياسي لتحقيق معظم الأهداف التي فشل المستهين بالله في تحقيقها، مما أضر بمصالح السلاجقة (تاكوش: ٢٤٤). بدأ الخليفة بتعزيز القوة العسكرية للخلافة، فأمر الشعب بجمع الأسلحة وحفر الخنادق حول بغداد وترميم أسوار المدينة. وفي عام ١١٤٩م (٥٤٣هـ)، أُعيدت الخلافة العباسية بعد عجز السلطان مسعود السلجوقي، حاكم العراق، عن قمع ثورات الأمراء المجاورين، مما شكّل بداية النهضة العباسية (ابن العسير: ٣١). وفي عام ٥٤٧م، توفي السلطان مسعود، فخسرت الدولة السلجوقية في العراق ركيزة أساسية، مما أدى إلى ضعف البلاد وعدم استقرارها على نطاق واسع، الأمر الذي أدى إلى تراجع الحكم السلجوقي في العراق (ابن العسير: ٣٢).

بعد وفاة السلطان مسعود، كان أول إجراء اتخذه الخليفة مقتطف هو الاستيلاء على ممتلكات محافظة بغداد، وعزل المسؤولين الذين عينهم السلطان، واستبدالهم بمسؤولين موثوق بهم. ثم جمع جيشًا، وهاجم محافظة

بغداد، واستعاد حراء والكوفة وواسط (الرواندي: ٣٨٢). واتبع الخليفة سياسة إثارة الفتن بين قوات السلاجقة لاستغلال الانقسامات بين أمراء السلاجقة. في عام ١١٥٧ (٥٥١ هـ)، عُيّن سليمان شاه بن محمود سلطانًا على العراق، وعُيّن أخوه مالك شاه الثاني سلطانًا أيضًا (التاكوش: ٢٤٥). بعد توليهما الحكم، زحف وليا العهد إلى همدان لمحاربة السلطان محمد. وتدهور الوضع في دولة السلاجقة العراقية أكثر بعد وفاة محمد الثاني. حاول خلفاؤه استعادة نفوذهم، لكنهم واجهوا معارضة شديدة من الخلفاء. واصل الخلفاء العباسيون نضالهم ضد السلاجقة حتى عهد الخليفة ناصر، حين نالوا استقلالهم من حكمهم. وشكّل هذا الإحياء لسلطة الخلافة نهاية النفوذ السلجوقي في العراق. وهكذا، باغتيال السلطان سنجر على يد القوز عام ٥٥٢ هـ/١١٥٨ م، انهارت الدولة السلجوقية. وباغتيال السلطان طغرل الثالث عام ٥٩٠ هـ/١١٩٥ م، زال النظام السلجوقي في العراق أيضاً (ابن العسير: ٢٥٥). وبدأ بذلك عهد من الاستقلال الحقيقي للخلافة العباسية، استمر حتى عام ٦٥٦ هـ/١٢٥٩ م (الزهراني: ٦٧).

الخاتمة:

١. منذ إن دخل السلاجقة إلى العراق تظافرت جهودهم للنهوض بالدولة العباسية في الجوانب الحضارية والسياسة، وبدأت إنجازاتهم السياسية في دخولهم بغداد وإنقاذهم للخلافة العباسية بتخليصهم من نفوذ البويهيين الذين كانوا مسيطرين على الخلافة.

٢. القضاء على فتنة البساسيري الذي كان مسيطراً على قرار الخليفة العباسي، ومن ثم تحجيم نفوذ الدولة الفاطمية التي حاولت بسط نفوذها على الخلافة العباسية.

٣. انتصار الخليفة المسترشد بالله على تمرد دبيس بن صدقة كشف عن لحظة فاصلة في التاريخ العباسي، إذ استعاد الخليفة لأول مرة زمام المبادرة السياسية والعسكرية بعد قرون من التبعية للقوى الإقليمية.

٤. أظهر بناء سور بغداد في عهد المسترشد بالله حالة من التلاحم الشعبي والسياسي، حيث مثّل المشروع رمزاً لوحدة المجتمع البغدادي واستعداده للدفاع عن مركز الخلافة.

٥. اتضح أن العلاقة بين الخليفة القائم بأمر الله والسلطان ملكشاه كانت بالغة التوتر بسبب محاولات السلطان التدخل في الشؤون الدينية والسياسية للخلافة.

٦. ما شكّل نقطة انهيار للبنية السياسية السلجوقية هو وفاة السلطان ملكشاه، مما أدى إلى تفكك السلطنة وعودة الخلافة العباسية إلى مسارها المستقل تدريجياً، لتبدأ مرحلة جديدة من السيادة العباسية حتى سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ.

المصادر:

١. ابن الأثير، عز الدين. (٢٠٠٧). الكامل في التاريخ. (تحقيق: خليل مأمون شيحا). بيروت: دار المعرفة.

٢. ابن الجوزي، جمال الدين. (١٩٩٥). المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. (تحقيق: محمد عبد القادر عطا). بيروت: دار الكتب العلمية.

٣. ابن خلكان. (١٩٧٠). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. (تحقيق: إحسان عباس). بيروت: دار الثقافة.

٤. ابن العمراني. (١٩٧٣). الأنباء في تاريخ الخلفاء. (تحقيق: قاسم السامرائي). لايدن.

٥. ابن هبة الله، كمال الدين. (١٩٥١). زبدة الحلب في تاريخ حلب. (تحقيق: سامي دهان). دمشق.

٦. ابن واصل. (١٩٦٠). مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. (تحقيق: جمال الدين الشيال). القاهرة: المطبعة الأميرية.

٧. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عمر. (١٩٨٧). البداية والنهاية. (تحقيق: أحمد أبو ملحم). بيروت: دار الكتب العلمية.

٨. أبو الفتوح، بدوي. (١٩٨٣). التاريخ السياسي والفكري في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد. جدة: دار المعرفة.

٩. الأدمون، ابن داروست. (١٩٩٧). "ولي العهد أبو الغانم مرزبان." موسوعة إيران، ٨.

١٠. الأصفهاني، العماد. (١٩٠٠). أخبار الدولة السلجوقية. مصر: شركة طبع الكتب العربية.

١١. الأصفهاني، عماد الدين. (٢٠٠٤). تاريخ دولة آل سلجوق. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٢. السبكي، تاج الدين. (١٩٩٣). طبقات الشافعية. (تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو). القاهرة: هجر للطباعة والنشر.

١٣. السامرائي، خليل. (١٩٨٨). تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي. الموصل: جامعة الموصل.

١٤. الشواربي، إبراهيم (مترجم). (١٩٦٠). الراوندي. راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية (نشر: محمد إقبال). القاهرة: دار العلم.

١٥. الطقوش، محمد سهيل. (٢٠٠٠). تاريخ الدولة العباسية. بيروت: دار النفائس.

١٦. القعايدة، عبد الهادي. (٢٠١٥). "الإدارة السلجوقية في بغداد: الشحنة أنموذجاً خلال الفترة (٤٤٧-٥٣٦هـ/١٠٥٥-١١٤٢م)." مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٤٢.

١٧. القزويني. (١٩٦٠). آثار البلاد وأخبار العباد. بيروت: دار صادر.

١٨.الكردي، كي لسترنج. (١٩٨٥). بلدان الخلافة الشرقية. (ترجمة: فرنسيس وكوركيس عواد). بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٩.النويري، شهاب الدين. (٢٠٠٢). نهاية الأرب في معرفة الأدب. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.

٢٠.أيوب، محمد. (٢٠١٣). آخر أيام العباسيين: الخلافة العباسية منذ سيطرة السلاجقة حتى سقوط بغداد. القاهرة: مؤسسة اقرأ.

٢١.جمال الدين، عبد الله محمد. (١٩٩١). الدولة الفاطمية. بيروت: دار الثقافة والنشر والتوزيع.

٢٢.حسين، محمد. (١٩٨٤). الحضارة الإسلامية في بغداد. بيروت: دار النفائس.

٢٣.حسين، أمين. (١٩٦٥). تاريخ العراق في العصر السلجوقي. بغداد: مطبعة الإرشاد.

٢٤.حتاملة، عبد الكريم عبده. (١٩٩٨). دور الخليفة المسترشد بالله في مواجهة نفوذ السلاجقة. مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

٢٥.ديوه جي، سعيد. (١٩٥٥). الجامع المجاهدي في الموصل. بغداد: مطبعة الرابطة.

٢٦.شاكر، محمود. (٢٠٠٠). التاريخ الإسلامي للدولة العباسية. عمان: المكتب الإسلامي.

٢٧.شاكر، مصطفى. (١٩٩٨). في التاريخ الشامي. دمشق: دار طلاس للدراسات والنشر.

٢٨.شمس الدين الذهبي. (١٩٨٥). سير أعلام النبلاء. (تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، إشراف: شعيب الأرناؤوط). بيروت: مؤسسة الرسالة.

٢٩.طارق، قصي. (١٩٨٦). العيارون والشطار في العصر العباسي. مكتبة الواعظ.

٣٠.عكام، محمود. (١٩٩٥). الموسوعة الإسلامية الميسرة. دمشق: دار صحارى.

٣١.عباسي، صدر الدين بن علي الحسيني. (١٩٨٤). أخبار الدولة السلجوقية. (اعتناء: عباس إقبال). بيروت: دار الآفاق الجديدة.

٣٢.عمر، يحيى محمد. (٢٠٠٦). الفتح والتوسع السلجوقي في آسيا الصغرى. جدة.

٣٣.فوزي، فاروق. (٢٠٠٩). الخلافة العباسية: السقوط والانهيار. عمان: دار الشروق.

٣٤.الجمل، فهد. (٢٠٢٢). الخلافة العباسية في عصر الدويلات. فلسطين: الإدارة العامة للمعارض والفنون والتراث.

٣٥.محمد، عصام. (١٩٩٤). السلاطين في المشرق العربي. لبنان: دار النهضة العربية.

٣٦.محمد، الخضري. (١٩٧٠). محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية. مصر: المكتبة التجارية الكبرى.

٣٧.مسفر الزهراني، محمد. (١٩٨٢). نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسية. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٣٨.هالم، هاينز. (١٩٩٦). إمبراطورية المهدي. (ترجمة: مايكل بونر). ليدن: بريل.

٣٩.يحيى، حمزة. (١٩٩٣). الدولة السلجوقية في عهد السلطان سنجر. مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

٤٠.زامباور. (١٩٨٠). معجم الأنساب والسلالات الحاكمة. بيروت: دار الرائد العربي.